Rihan Journal for Scientific Publishing
ISSN:2709-2097 www.rjsp.org
مجلة ريحان للنشر العلمي
Issue 31 (2023) PP 252:267
2023-01-28

الزيادة ودلالتها عند الزمخشري المتوفي (٥٣٨هـ)

The increase and its significance according to the deceased Zamakhshari (538 AH)

جميلة عبد العزيز أبوالمحاسن البهوي

استاذ مساعد بقسم اللغة العربية كلية الآداب والعلوم جامعة الجوف

المملكة العربية السعودية

Gamila EL BAHWI

Assistant Professor, Department of Arabic Language, College of Arts and Sciences, Al-Jouf University – Kingdom of SAUDI ARABIA

Email: yamen_kahled@yahoo.com

https://orcid.org/0000-0001-7751-944X

ملخص البحث

من المعلوم لدي دارسي علم البلاغة عند الزمخشري أن له صولات وجولات في ميدان علم البلاغة، فلم تقف جهوده عند حد ما قدمه العلماء السابقين، ولكنه أبدع في كثير من آرائه وخاصة عندما تناول مباحث علمي المعاني والبيان، ثم نجده يربط بين المكونات البلاغية والمكونات الدلالية، ويظهر ذلك عند تحليله لشواهد بلاغية، فهولا يكتفي ببيان مكوناتها، وإنما يبحث في المعنى الدلالي الخاص بهذا الموقف الذي وردت فيه. ومن هنا جاء حرصه على إبراز الجانب البلاغي والدلالي لمفردات وتراكيب القرآن الكريم. وسنحاول في بحثنا هذا إبراز مدى تطبيق الزمخشري لهذين الجانبين البلاغي والدلالي.

الكلمات المفتاحية: الزيادة، دلالتها، بلاغة، الزمخشري.

Abstract

It is well known to scholars of rhetoric when al-Zamakhshari that he had connections and tours in the field of rhetoric, and his efforts did not stop at what was presented by previous scholars, but he excelled in many of his views, especially when he dealt with scientific investigations of meanings and statement, then we find him linking rhetorical components and semantic components, This appears when analyzing rhetorical evidence, as he is not satisfied with stating its components, but rather looking at the semantic meaning of this situation in which it was mentioned. Hence his keenness to highlight the rhetorical and semantic aspect of the vocabulary and structures of the Holy Qur'an. In this research, we will try to highlight the extent of Zamakhshari's application of these rhetorical and semantic aspects.

keywords: The Increase, its Significance, Rhetoric, Al-Zamakhshari.

المقدمة

من المعلوم لدي دارسي علم البلاغة عند الزمخشري أن له صولات وجولات في ميدان علم البلاغة، فلم تقف جهوده عند حد ما قدمه العلماء السابقين، ولكنه أبدع في كثير من آرائه وخاصة عندما تناول مباحث علمي المعاني والبيان، ثم نجده يبدع في الربط بين المكونات البلاغية

والمكونات الدلالية، ويظهر ذلك عند تحليله لشواهد بلاغية، فهولا يكتفي ببيان مكوناتها، وإنما يبحث في المعنى الدلالي الخاص بهذا الموقف الذي وردت فيه. ومن هنا جاء حرصه على إبراز الجانب البلاغي والدلالي لمفردات وتراكيب القرآن الكريم. وسنحاول في بحثنا هذا إبراز مدى تطبيق الزمخشري لهذين الجانبين البلاغي والدلالي.

في ضوء التطبيق على الآيات القرآنية، التي تناولت ظاهرة الاتساع والإطناب وزيادة الحرف والتكرير. وقد أسميت النماذج السابقة الزيادة ودلالتها عند الزمخشري.

أهمية البحث

تتمثل أهمية البحث في بيان الزيادة ودلالتها عند الزمخشري، والاستدلال عليها من خلال تتبع نماذج منثورة في الكشاف، تتضمن الاتساع والإطناب وزيادة الحرف والتكرير. كما تتمثل أهمية البحث في بيان الترابط بين المكون البلاغي والدلالي، للآيات القرآنية.

إشكالية البحث

في ضوء تناولنا لدراسة هذا الموضوع تطرأ جملة من الإشكالات هي:

1. ما مغزى تناول الزمخشري للمباحث البلاغية الاتساع والإطناب والتكرير وغيرها في تفسيره الكشاف؟
2. كيف وظف الزمخشري تلك المباحث على النظم القرآني في تدليله لأوجه البلاغة الإعجازية من القرآن الكريم؟
3. ما أهم الآليات التي اتخذها الزمخشري من خلال ما عرض له من أمثلة؟

أهداف البحث

1. تحديد مصطلحات الاتساع والإطناب وزيادة الحرف والتكرير لدى الزمخشري.
2. بيان أنواع الاتساع والإطناب وزيادة الحرف والتكرير لدى الزمخشري
3. الكشف عن الأوجه الدلالية للأنواع السابقة.

منهجية البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي وذلك باستقراء، ووصف، وتحليل الآيات القرآنية عن طريق بيان عن معانيها الدلالية وأغراضها البلاغية الواردة في سياق النص القرآني.

هذا، وسأحاول فيما يأتي بيان تطبيقات الزمخشري على الزيادة ودلالتها، وذلك من خلال استعراض بعض الأمثلة على الاتساع والإطناب وزيادة الحرف والتكرير.

1. الاتساع

يجعل الزمخشري الإضافة من باب الاتساع، ومثَّل لذلك بإضافة كلمة (الدين) إلى قوله:" (ملك) ، في قوله – تعالى: " مالك يوم الدين ".[1] يقول: فإن قلت: ما هذه الإضافة؟. قلت: هي إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على طريق الاتساع، فجري مجري المفعول؛ كقولهم: يا سارقَ الليلةِ أهل الدار . والمعني على الظرفية، ومعناه: مالكُ الأمر كله في يوم الدين. فإن قلت: فإضافة الفاعل إضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معني التعريف، فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة؟ قلت إنما تكون غير حقيقية إذا أُريد باسم الفاعل الحال أوالاستقبال، فكان في تقدير الانفصال، كقولك: مالكٌ الساعة أوغدًا، فأما إذا قصد معني الماضي، كقولك: مالكُ عبده أمس أوزمانٌ مستمرٌ، كقولك: زيدٌ مالكُ العبيد. كانت الإضافة حقيقية، كقولك: مولي العبيد.[2]

ويجعل الزمخشري التضمين ضربًا من ضروب الاتساع، وهو عنده مما يُحتفي بالتضمين، وتتوسع في التخريج عليه؛ فهو: " باب من هذه اللغة واسع لطيف طريف".[3]، وأنه "غورٌ من أنحاء العربية طريف ولطيف ومصون وبطين".[4] ثم إن التخريج عليه طريقةُ فقهاء أهل العربية، والتخريجَ على ما سواه طريقةُ ظاهرية النحويين[5]، فالقول بالتضمين أولى لما تقدم، و"لأنه أسهل من الحذف"[6]

ومثلُ ذلك حملُ الزمخشري الفعل (حسب) فقد ضمنه معنى قدَّر؛ في قوله - تعالى: (أم حسب الذين يعملون السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات).[7] يقول الزمخشري: يتوقف المعني على مضامين الجمل؛ ولا يرتضى حمل المعاني على ظواهرها، إنما يحمل الكلمات على ضوء ما يكتنفها من سياق، ولاسيما الفعل (حسب) ألا ترى أنك لوقلت: حسبتُ زيدًا، وظننت

---

[1] سورة الفاتحة: 4

[2] لِزمخشري، أبوالقاسم محمود بن عمروبن أحمد جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ت: خليل مأمون شيحة، ط3 دار المعرفة بيروت –لبنان 1430هـ- 2009م، 28/1

[3] 3 ابن جني أبوالفتح عثمان، الخصائص: ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2/ 437

[4] 4ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ت: علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر:١٣٨٦ - ١٣٨٩ هـ، ١٩٦٦ م – ١٩٦٩م، 53/1

[5] ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب، بدائع الفوائد، ط ١، ت: هشام عبد العزيز عطا، وعادل عبد الحميد العدوي، وأشرف أحمد الجمال، بإشراف: سعيد عبد الفتاح مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٩٩٦م .258/2.

[6] ياسين: بن زين الدين بن أبي بكر بن محمد بن عليم الحمصي، حاشية ياسين على ألفية ابن مالك، ط المولوية فاس، ١٣٣٧هـ، 285/1.

[7] العنكبوت: 4.

الفرس، لم يكن شيئًا تقول: حسبتُ زيدًا عالمًا، وظننت الفرس جوادًا؛ لأن قولك: زيدٌ عالم أوفرس جوادٌ كلام دال على مضمون فأردت الإخبار عن ذلك المضمون ثابتًا عندك على وجه الظن، لا اليقين؛ فلم تجد بُدًّا في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه؛ من ذكر شطري الجملة، مدخلًا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك..

وقد ضمن الزمخشري الفعل (حسب) معني الفعل (قدَّر)..يقول: ألا ترى أنك – قبل المجيء بالحسبان تقدِّر أن تقول: تركهم غير مفتونين، لقولهم: آمنا.[8]

ومما مضي يمكن القول إن الاتساع ندر بحثه من قبل البلاغيين في مباحث وأبواب مستقلة والزمخشري كغيره ممن سبقه أوعاصره وظف هذا المصطلح، في جانبه اللغوي تارة، والنحوي أوالبلاغي تارة أخرى، لكن دون أن يضع له مفهوما محددا.

2. الإطناب

2.1 الإطناب عند القدماء

وهوزيادة اللفظ على المعنى لفائدة.[9] وبه يُراد بلوغ القصد، وقد جعله البلاغيون من طرائق تقوية القصد وتثبيته، حيث إنه تعبير عن المراد ذاته؛ بلفظ أزيد من الأول، وقد ميَّزوا بين الإطناب والإسهاب؛ بأن الأول تطويل لفائدة دلالية، والثاني يحتمل الإفادة وعدمها. والذى يميزه عن غيره: هوتلك المعاني الجديدة التي تحققها زيادة الألفاظ، إلى المعني الأصلي، وكل ذلك لغرض بلاغي.

ونجد تناولًا شاملًا للإطناب عند ابن الأثير؛ حين يقول: "إن الإطناب يدل على المعني بلفظ يكفيك بعضه في الدلالة عليه، وأن الفارق بينه وبين التطويل أن الإطناب لفائدة بلاغية، والتطويل هوزيادة لغير فائدة؛ وهذا معناه: إن الإطناب إذا حُذفت منه الزيادة المؤكدة للمعني تغير ذلك المعني، وزال ذلك التأكيد عنه، وذهبت فائدة التصوير والتخيل، التي تفيد السامع ما لم يكن إلا بها".[10]

2.2 الإطناب عند المحدثين

[8] الكشاف 812/20
[9] فإذا لم تف العبارة بالغرض، سمى: إخلالا، وإذا زاد اللفظ على المعنى، سمى: تطويلًا.
[10] انظر ابن الأثير، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت: محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، ١٤٢٠ هـ، 2/ 145

لم يُضف المحدثون شيئًا جديدًا على تعريف الإطناب، ولا إلى أقسامه ولا أغراضه البلاغية؛ بل حذوا حذوالقدماء في هذا الشأن، فنراهم مقلِّدين؛ إلا أن بعضهم تناوله تحت مصطلح التطويل أوالتكرير، ويجعله مع التكرير عنوانًا واحدًا".[11]

2.3 الإطناب عند الزمخشري

والأمر عند الزمخشري على سبيل الوجوب، إذ يُلزم المؤلف أن يرعي أفق متلقيه، بالتفسير والإيضاح وإزالة الإبهام، بل إنه يُعد ذلك شرطًا للمؤلف، إذ رام أن يوصف بالبليغ، وهذا الأمر ذاته هوما تنادي به اللسانيات الحديثة؛ من وجوب أن يراعي المؤلف الإطار السوسيوثقافيّ للمتلقي، حيث يدفع قصدًا ما في خطابه. يقول الزمخشري في ذلك المعني: " كما أنه يجب على البليغ – في مظان الإجمال – لأن يُجمل ويوجز؛ فكذلك الواجب عليه – في موارد التفصيل – أن يفصِّل ويشبع".[12]

فيربط الزمخشري بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للإطناب؛ حين يقرر أن أصل الإطناب هوزيادة في الألفاظ على معني ما، لغرض ما؛ أي: أن يؤدّي المؤلف المعني بألفاظ تزيد عما يقتضيه العرف اللغوي والذوق، إضافة إلى ذلك فقد ذهب الزمخشري إلى أن الإطناب يعد أداة من أدوات القبول لنص ما، ومما يسهم في إعانة المتلقي في بحثه عن قصد المؤلف؛ فالزمخشري لا يذم التفصيل مطلقًا؛ فمتى كان الإطناب في مقامه؛ صار محمودًا، وهذا ما يسميه البلاغيون: موافقة الحال.

وقد عدَّه الزمخشري – فى غير فائدة – عيبًا بدا ذلك فى تناوله لمصطلح الإطناب فى اللغة، يقول: ويُقال: فرس أطنب. أي: طويل الظهر، وفيه طنب. ومن المجاز قولنا: شجرة طويلة الأطناب، وهي: العروق، وطنب بالبلد، أى: أطال الإقامة فيها ".[13] فهو– بذلك – يُعد الإطناب ضربًا من الخروج عن الشكل المنطقي العرفي للجملة العربية، من حيث العناصر الشكلية والدلالة. ويؤكد الزمخشري ضرورة ألَّا يكون هذا الإطناب عشوائيًّا، وإنما يُؤتى به لهدف، يبدوذلك من خلال تأثيره في المتلقي؛ سواء بلغته اللفظية، أولغته الجسدية.

---

[11] انظر، د: السيد عز الدين على، التكرير بين المثير والتأثير، ط1، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1398 هـ / 1978م، ص 91

[12] الكشاف 1/ 54

[13] الزمخشري، أساس البلاغة، ت: محمد باسل عيون السود (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط1، (مادة: طنب) 1/ 614-615

ومن أمثلة الإطناب عند الزمخشري، الإطناب بالبسط، رغبة من المتلقي في الأُنس بالمخاطب، وتقليل الهيبة منه، وقد جاوز الزمخشري بالإطناب حدَّ التقوية للمعني والتأكيد له، فأطنب استلذاذًا ورغبة في بسط الكلام، وتطويلًا له، وذلك في قوله – تعالى: " وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكؤا عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخري ".[14]

ولقد كان حديث موسى – عليه السلام – أشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر، ونحوقولك: يدُ فلان مبسوطة، ويدُ فلان مغلولة. بمعنى أنه جواد أوبخيل، ولا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت؛ حتى إن من لم يبسط يده قط بالنوال، أولم تكن له يد رأسًا قيل فيه: يده مبسوطة، لمساواته عندهم قلهم: هوجواد.. ولقد جاء الإطناب في هذا الموضع أن موسى عليه السلام أتبع الجملة الجملة، والمعنى المعنى ليتأسى به؛ في تحمل أعباء النبوة وتكليف الرسالة والصبر، وعلى مقاساة الشدائد؛ حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود.[15]

2.4 الإطناب بالبسط

ومن أمثلة الإطناب بالبسط؛ قوله – تعالى: " إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لأيات لقوم يعقلون ".[16] يقرر الزمخشري أن هذه المعطوفات – جميعًا – تقع تحت حكم الصلة؛ إذ إن كل معطوف ارتبط بسابقة، فاتصل به، وصارا جميعًا كالشيء الواحد.[17]

2.5 الإطناب بالتفسير

والجمل التفسيرية: هي ضربٌ من ضروب الزيادات اللفظية والدلالية، التي يسوقها المؤلف؛ ليكشف بها أمرًا سابقًا عليها، إذ تأتى لتُزيل إبهامًا، أوتكشف خفاءً، وقد عرَّف ابن هشام الجملة التفسيرية، بأنها: " الفضلــة الكاشفة لحقيقة ما تليــه، وتأتى حين يخالط الكلام لبسٌ وخفاءٌ، فيأتي بما يزيلــه ويفسره ".[18]

---

[14] سورة طه 17- 18
[15] انظر: الكشاف 16/ 651
[16] سورة البقرة: 164
[17] انظر: الكشاف 2 / 106
[18] انظر: ابن هشام، أبومحمد، جمال الدين، (١٩٨٥م) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ت: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، ط 6، ص 520، وانظر: جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر معترك الأقران في إعجاز القرآن، (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨)، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، ط 1م 1 / 273

وقد تعرض السيوطي (ت 911هـ) لعلة الإتيان بها؛ حين جعلها من مكملات الدلالة، فيقول: " متى كانت الجملة تفسيرًا لم يَحْسُن الوقوف على ما قبلها دونها؛ لأن تفسير الشيء لاحقٌ به، ومتممٌ له، وجارٍ مجرى بعض أجزائه ".[19] لذا تأتى الجمل التفسيرية لتعظيم القصدية النصية بتكرير القصد على سبيل التأكيد، أواحترازًا من سوء الفهم، أوللمبالغة فى دفع الدلالة إلى المتلقي، بتفسيرها وتوضيحها.

ويهدف المؤلف بالإطناب بالتفسير إلى بيان السابق، الذى يكد ذهن المتلقي، وكأن المؤلف يعظم من قيمة التفاوض في أدب الحوار، فحُقَّ عليه أن يقدم الكثير من معونات القصدية لذهن المتلقي أولوجدانه؛ رغبة منع في الإبانة والتيسير، وقد أشار الزمخشري إلى هذا الصنف من الإطناب، في قوله – تعالى: " أنزله بعلمه ". بعد قوله – تعالى: " لكن الله يشهد بما أنزل إليك ".[20]

يقول: فإن قلت: ما معني قوله: " أنزله بعلمه ". وما موقعه من الجملة التي قبله ؟. قلت: معناه: أنزله متلبسًا بعلمه الخاص، الذى لا يعلمه غيره؛ وهوتأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان؛ وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة، لأنه بيان للشهادة، وأن شهادته بصحته أنه أنزله بالنظم المعجز الفائق للقدرة".[21]

وفي قوله – تعالى: "وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يُحشرون ".[22]

يقول الزمخشري: " جاء شبه الجملة (في الأرض)، والجملة (يطير بجناحيه) للتفسير، فلا تُوجد دابة إلا في الأرض، ولا يُوجد طائر إلا وهويطير بجناحيه، ولكن هذا إطناب جاء ليدل على التعميم والإحاطة. ويقول: فإن قلت: ما معني الزيادة (في الأرض)، و(يطير بجناحيه). قلت: معني ذلك زيادة التعميم والإحاطة، كأنه قيل : ما من دابة قط في جميع الأرضين السبع، وما من طائر قط في جوالسماء؛ من جميع ما يطير بجناحيه، إلا أممٌ أمثالكم، محفوظة أحوالها، غير مهمل أمرها، وذلك كله للدلالة على عظم قدرته، ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره، وهومهيمن على أحوالها ".[23]

---

[19] جلال الدين السيوطي، معترك الأقران 1/ 274
[20] سورة النساء:166
[21] الكشاف 6 / 272
[22] سورة الأنعام: 38
[23] الكشاف 7 /326

ومن شواهد الإطناب بالجمل المفسرة عند الزمخشري قوله – تعالى: " وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يُضَاهِؤُونَ قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ".[24] فقد جاء المركب الإضافي (بأفواههم) ليفسر آلة التكلم؛ لأنه لا يكون إلا بالفم، وفي هذا السياق يقول الزمخشري: "فإن قلت: كل قول يُقال بالفم، فما معني قوله – تعالى: (ذلك قولهم بأفواههم)؟. قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يُراد به أنه قولٌ لا يعضده برهان، فما هوإلا لفظٌ يفوهون به، فارغ من معني تحته؛ كالألفاظ المهملة، التي هي أجراس ونغم، لا تدل على معانٍ، وذلك أن القول الدال على معني لفظه مقول بالفم، ومعناه مؤثر في القلب، ولا معني له مقول بالفم لا غير.

والآخر: أن يُراد بالقول المذهب؛ كقولهم: قول أبى حنيفة. يريدون مذهبه؛ وما يقول به، كأنه قيل: ذلك مذهبهم ودينهم بأفواههم، لا بقلوبهم؛ لأنه لا حجة معه، ولا شبهة حتى يؤثِّر في القلوب؛ وذلك أنهم إذا اعترفوا أنه لا صاحبة له؛ لم تبقَ شبهة فى انتفاء الولد ".[25]

3. زيــادة الحروف

3.1 زيادة (اللام)

وتكون الزيادة بزيادة حرف أوأكثر، وهوأن يُزاد الحرف بغرض التوكيد والتنبيه، فقد زيدت (اللام وقد) للتفسير، كما في قوله – تعالى: " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك..".[26]

من المعلوم أن الفعل نقدِّس – بتضعيف العين – متعدٍّ بنفسه، والتقدير: ونقدِّسك – في غير القرآن -. وهذا فعل الملائكة على الدوام، لكنه لما أراد التفسير من خلال التخصيص بحرف الجر اللام - قصدًا للمبالغة في التقديس والتسبيح لله – سبحانه وتعالى – أطنب، إذ إن تسبيح الملائكة لله – تعالى – هو تبعيد الله من السوء، والتقديس: أن يشمل حب الله وتنزيهه العبد كله، وقد جاءت اللام لتفيد – أيضًا - ربط الزمن الماضي بالوقت الحاضر.[27]

– زيادة (من)

وقد تُزاد (مِنْ) الجارة الدالة على القطعية، وعلى اتصاف ما بعدها بالحكم الذى قبلها، وتخصيصها له، وتأكيد المبالغة فيه، فقد زيدت في قوله – تعالى – على لسان سيدنا لوط – عليه

[24] سورة التوبة: 30
[25] انظر: الكشاف10 / 430
[26] سورة البقرة: 30
[27] الكشاف 1: 129 – 130

السلام – مخاطبًا قومه: " أتأتون الذكران من العالمين".[28] جاءت (من) لتدل على أن قوم لوط – عليه السلام – مختصون بتلك الفاحشة، ولا يشاركهم فيها أحدٌ، وفي هذا السياق يقول الزمخشري: "أراد بالعالمين الناس، أي: أتأتون من بين أولاد آدم – عليه السلام – على فرط كثرتهم، وتفاوت أجناسهم، وغلبة إناثهم على ذكورهم في الكثرة؛ كأن الإناث قد أعوزنكم ؟ أوأتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران؟ يعنى: يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة، والعالمون على هذا القول كلُّ ما ينكح من الحيوان".[29]

– زيادة (ما)

كما في قوله – تعالى: "وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم يُنزِّل به عليكم سلطانًا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون".[30] فقد كُررت (ما) مرتين في الآية، وهي موصولة عامة؛ والمراد بها شيء معلوم في الآية الأولى، وهو: معبوداتكم، وهي مأمونة الخوف، وهي – في الثانية – شيء مجهول، وقد جاءت لغرض الإنكار فى الأولي، وجاءت الثانيــة لتأكيد الإنكار".[31]

– زيادة (التاء)

وقد زِيدت التاء في قوله – تعالى: "تالله لأكيدنَّ أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين".[32] وقد جاءت هذه التاء بدلًا من الواو، يقول الزمخشري: "إن الباء هي الأصل، والتاء بدل من الواوالمبدلة منها، وإن زيادة التاء فيها زيادة معنى، وهوالتعجب؛ وكأنه يتعجب من تسهُّل الكيد على يده وتأتيه؛ لأن ذلك كان أمرًا مقنوطًا منه؛ لصعوبته وتعذره، ولعمري إن مثله صعبٌ متعذِّرٌ في كل زمان".[33]

– زيادة (عند)

في قوله – تعالى: " الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم كبُر مقتًا عند الله وعند الذين آمنوا.."[34] يقول الزمخشري: " وفي (كبر مقتا) ضرب من التعجب والاستعظام؛ لجدالهم، والشهادة على خروجه من حد أشكاله من الكبائر ".[35]

– زيادة (أحرف في بنية الكلمـــة)

---

[28] سورة الشعراء: 165
[29] انظر: الكشاف 19: 767
[30] سورة الأنعام: 81
[31] الكشاف 1: 640
[32] سورة الأنبياء: 57
[33] الكشاف 17 / 681
[34] سورة غافر: 35
[35] الكشاف 24/ 957

كما في قوله – تعالى: "قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوبسحر عظيم ".[36] فقد جاءت الصيغة (استرهبوهم) المزيدة بسابقة (الألف، والسين، والتاء) والدالــة على الطلب، يقول الزمخشري: "أروا أعين الناس بالحيل والشعوذة، وخيَّلوا إليها ما الحقيقة بخلافة؛ وأنهم ألقوا حبالًا غلاظًا، وخشبًا طوالًا، فإذا هى أمثال الحيات قد ملأت الأرض، وركب بعضهم بعضًا، وأرهبوهم إرهابًا شديدًا، كأنهم استدعوا رهبتهم".[37]

4. من مباحثه

– التكرار

ويقصد بالتكرير لغة: الرجوع والإعادة والترجيع، وهوفي الاصطلاح: إعادة اللفظ الواحد، بالعدد أوالنوع، أوالمعني الواحد بالعدد أوالنوع؛ قصدًا للبناء الدلالي، والتأكيد على المعاني، خشية تناسي الأول، لطول العهد في القول".[38]

وتجدر الإشارة إلى أن التكرير له دور حاسم في لفت الانتباه لدى المتلقي، ويسهم في جذبه واستثاره حواسه ووجدانه ومشاعره، حتى يبحث عن سبب دلالي أوبلاغي أوجمالي لهذا التكرار، الذى أورده المؤلف، وما الأثر النفسي الذى رامه المؤلف؟

يقول الزمخشري: "لأن تكرير اللفظ الواحد فى الكلام الواحد حقيق بالاجتناب فى البلاغة، إلا إذا وقع ذلك لأجل غرض ينتحيه المتكلم؛ من تفخيم أوتهويل، أوتنويه أونحوذلك.[39]

وفيه نوعان هما:

أ. تكرار الكلمة

وقد تنبه الزمخشري إلى أن التكرير يؤدى وظيفة سياقية؛ تعرضها طبيعة اللغة المستخدمة؛ وإلا أصبح التكرار مجرد إعادة ونمطي؛ لا يثير في السامع أوالقارئ أي انفعال أوإثارة.[40] وقد استشهد لذلك، بقوله – تعالى: "فلما رءا قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم".[41]

---

[36] سورة الأعراف: 116
[37] الكشاف 9 /378
[38] السلجماسي، أبومحمد القاسم الأنصاري،(1401هـ-1980م) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، ت:علال الغازي، مكتبة المعارف الرباط المغرب ط1، ص 476
[39] الكشاف 20 / 81
[40] انظر: البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ص: 4
[41] سورة يوسف – عليه السلام: 28

ثم قوله – تعالى: " وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن".[42] ثم قوله – تعالى: " فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هوالسميع العليم".[43]

إذ إن تكرير قوله – تعالى: "كيدهن". أربع مرات فى سياق قصصي واحد متصل، من باب الحديث بالخاص وإرادة العام، وفي هذا السياق يقول: "فذكرت أربع مرات، على أنه – سبحانه وتعالى – لا يريد أن يحذرنا من كيد امرأة العزيز فقط، بل أراد التحذير من كيد النساء بشكل عام؛ فعبر الله – سبحانه وتعالى – بالتكرار عن الحالة النفسية، التي عليها المرأة عامة، وامرأة العزيز بصفة خاصة، ويتجلى هذا التحذير في قوله – تعالى: "كيدهن". لأن النفوس تصبوإلى المرأة لطيب نسيمها وروحها".[44]

ومن تكرير الكلمات، تكرير الضمير في قوله – تعالى: "لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوفٌ رحيمٌ".[45]

يقول الزمخشري: "قوله – تعالى: "ثم تاب عليهم". تكرير للتوكيد، ويجوز أن يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم.[46]

ومثله تكرير كلمة الإسلام بعد كلمة الدين، في قوله – تعالى: " إن الدين عند الله الإسلام".[47]

فقد كرر – سبحانه – كلمة الإسلام بعد كلمة الدين؛ ويؤكد الزمخشري أن هذا التكرير توكيد للكلمة الأولى، قائلًا: فإن قلت: ما فائدة هذا التوكيد؟ قلت: فائدته أن قوله – تعالى – (لا إله إلا هوتوحيد، وقوله: قائمًا بالقسط تعديل، من العدل، فإذا أردفه بقوله: " إن الدين عند الله الإسلام ". فقد آذن أن الإسلام هوالعدل والتوحيد، وهوالدين عند الله، وما عداه فليس عنده في شيء من الدين، وكرر كلمة الإسلام ليبعد أصحاب الهوي عن الدين، وأن الإسلام بريء من التشبه، ومن جواز رؤية الله فى الحياة، وينفى عن الدين الذى هوالإسلام القول بالجبر، الذى هومحض الجور؛ فكل ذلك لم يكن على دين الله الذى هوالإسلام".[48]

– زيادة كلمة على الجملة المركزية

---

[42] سورة يوسف – عليه السلام: 33
[43] سورة يوسف – عليه السلام: 34
[44] انظر: الكشاف 2: 312- 321
[45] سورة التوبة: 117
[46] الكشاف 11/: 452
[47] سورة آل عمران: 18
[48] الكشاف 3/: 164-165

ومن زيادة الكلمة التي استدل بها الزمخشري زيادة النواسخ، فهويقرر أن تلك الزيادة اللفظية قد تبعتها زيادة في المضمون الدلالي، ذلك حين أكد أن الجملة الاسمية المنسوخة هى تلك الجملة التي دخل عليها أحد الألفاظ الناسخة؛ فغير دلالة مضمونها، وعلامة إعراب ركنيها الأساسيين؛ وصيَّر المبتدأ اسمًا له، وصيَّر خبر المبتدأ خبرًا له.[49]

ب. تكرار الجملة

وقد عدَّ الزمخشري الإطناب بالتكرار ضربًا من التوكيد لمضمون الجملة، أولمقصود المؤلف، ولاسيما إذا كان المتلقي خالي الذهن، نحوقوله تعالى: " وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو".[50] فقد جاء بعدها قوله تعالى: "قلنا اهبطوا منها جميعًا".[51] يقول الزمخشري: "فإن قلت: لمَ كرر: قلنا اهبطوا؟ قلت: للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله: "فإما يأتينكم منى هدى"[52]

ومن باب تكرير الجمل التي تُساق للتخصيص والتوكيد والمبالغة، تكرير قوله – تعالى: (لا إله إلا هو)؛ في قوله – تعالى: "شهد الله أنه لا إله إلا هووالملائكة وأولوا العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هوالعزيز الحكيم".[53]

يقول الزمخشري: " فإن قلت: لِمَ كرر قوله: (لا إله إلا هو) ؟ قلت: ذكره أولًا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية، وأنه لا إله إلا تلك الذات المتميزة؛ ثم ذكره ثانيًا، بعدما قرن بإثبات الوحدانية إثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالأمرين، كأنه قال: لا إله إلا هذا الموصوف بالصفتين، ولذلك قرن به قوله (العزيز الحكيم) لتضمنهما معني الوحدانية والعدل".[54]

ومن أمثلته عند الزمخشري، الإتيان بجملة: "صراط الذين أنعمت عليهم" بعد جملة: "اهدنا الصراط المستقيم. فى قوله – تعالى: "اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم".[55]

يقول الزمخشري: فإن قلتَ: ما فائدة قوله: صراط الذين أنعمت عليهم؟.قلتُ: فائدته التوكيد، لما فيه من التثنية والتكرير والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين؛ ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكدُه؛ كما تقول: هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل، لأنك تثبت ذكره مجملًا أولًا وفصلًا ثانيًا، وأوقعت فلانًا تفسيرًا وإيضاحًا للأكرم

[49] انظر: المفصل:263
[50] سورة البقرة: 36
[51] سورة البقرة: 38
[52] الكشاف 72/1
[53] سورة آل عمران: 18
[54] الكشاف 165/3
[55] سورة الفاتحة: 6 – 7

بالأفضل، فجعلته علمًا في الكرم والفضل؛ فكأنك قلت: من أراد رجلًا جامعًا للخصلتين فعليه بفلان؛ فهوالمشخَّص لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع".[56]

وتجدر الإشارة إلى أن الزمخشري قد ذهب إلى أن تكرير جملة بكاملها يأتي للتأكيد على ما في ذهن المتلقي؛ ويكشف السياق المحدد المعني ويجلّيه؛ بحسب قوة الإنكار أوضعفه؛ ويقرر الزمخشري أن هذا التكرير ليس عملًا اعتباطيًّا، بل يُعد سياقًا مصاحبًا؛ فقد كرر – سبحانه – قوله: "ثم أتبع سببًا".[57] ومن المعلوم تتصاعد الحاجة إلى معونات التأكيد، كلما زاد تردد المتلقي أوإنكاره، أوجحوده.

وفي هذا السياق يقول: " كررت هذه الجملة لتأكيد نبوة الرسول – صلى الله عليه وسلم – حين امتحنه اليهود؛ إذ جاءت قصة ذي القرنين برمتها ردًّا على سؤال أهل مكة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – لاختبار صحة نبوته، فنزلت القصة لتلقي على قوم يعرض عليهم دين جديد، وهم لا يعلمون عنه إلا القليل، ومعظمهم منكرٌ له؛ فلوذكر خبر هذا الرجل؛ دون أن ترد عبارة: فأتبع سببًا لظن ضعاف النفوس أنه إنسان غير عادى، وأنه ليس من جنس البشر.

فقد تهيأ له من القوة والعلم والقدرة والشجاعة ما لم يتوفر لأحد على الأرض، ولتلافي ذلك الظن، أورد الله – عز وجل – أن كل ما حققه كان بسبب ما وفره الله له من الطرق، ويسر له من السبل، التي توصله إلى ما بلغ، ومنحه من العلم والقدرة؛ لتحقيق ما سعى إليه، ومن هنا جاءت الحاجة إلى التكرير للتأكيد ولتذكير السامع؛ ليكون على دراية، فقد أراد ذوالقرنين غرضًا، فأتبه سببًا يوصله إليه حتى بلغ، وكذلك أراد المشرق فأتبع سببًا، وأراد بلوغ السدين فأتبع سببًا".[58]

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث نخلص إلى النتائج التالية:

1. بينت الدراسة أن الإضافة والتضمين من باب الاتساع، وضربًا من ضروبه.
2. أكدت الدراسة على أن الإطناب عند القدماء لم يكن عبثًا؛ بل هوزيادة اللفظ على المعنى لفائدة، وهوتطويل لفائدة دلالية. كما أنه أحد أوجه البيان المستعملة في الكلام الفصيح، وله أهمية بلاغية فيَ الكلام الفصيح الذي منه القرآن.
3. تبين أن الزيادة ترد بزيادة حرف أوأكثر، وذلك بغرض التوكيد والتنبيه.

[56] الكشاف 29/1
[57] سورة الكهف: 85، 89، 92
[58] الكشاف 16/ 628

4. أن التكرير يؤدى وظيفة سياقية؛ تعرضها طبيعة اللغة المستخدمة.

التوصيات

1. توصي الباحثة بإجراء المزيد من الدراسات اللغوية الحديثة التي تتناول موضوع الزيادة ودلالاتها المتعددة في مستويات اللغة العربية لما لها من أهمية في الإفصاح عن اللغة العربية وجمالها.
2. توصي الباحثة وزارات التربية والتعليم لإدراج مباحث مخصوصة تتعلق بباب الزيادة ودلالاتها من الناحية البلاغية في المناهج الدراسية وتعليمها للطلبة.
3. الدعوة إلى عقد ورشات عمل وبحوث حديثة تتضمن كيفية مواكبة العلوم اللغوية للمجالات الأخرى وتطبيقها.

References

Al-zamakhsharī, Abū al-qāsim maḥmūd Ibn ʿAmr Ibn Aḥmad jāra Allāh, al-Kashshāf (in Arabic), ed.khlīl maʾmūn shīḥah, ṭabʿah3 daar al-maʿrifah, baayrūt-lubnān(1430h-2009m).

Ibn jinniy, Abū al-fatḥ ʿuthmān,al-khṣā ʾiṣ ṭabʿah(4) al-hayʾah almiṣriah, al-ʾāmah llkitāb.

Ibn jinniy, al-muḥtasab fī tabyyn wjūh shawādh al-qirāʾāt waalʾiḍāḥ ʿanhā, taḥqīq ʿalī al-nnajdīn nāṣf, ʿabd al-ḥlīm al- najjār, ʿabd al- fattāḥ ʾismāʿil shalabī,wizārih al-ʾawqāf al-majlis al-ʾaʿalay llshuʾwūn. al-ʾislāmiyyah miṣr(1386h-1389h) -(1966m-1969m).

Ibn al-qayyim, muḥmmad ibn ʾAbī bakr ibn ʾayyūb, badāʾiʿ al- fawāʾid ṭabʿah (1) taḥqīq: hishām ʿabd al-ʿazīz ʿaṭā, waʾādl ʿabd al-ḥmīd al-ʿadawy,waʾashrafʾaḥmad al-jammāl,bi ʾishrāf:saʿidʾabd al- fattāḥ. Makkah al- mukaramah, Maktabat nazār Muṣṭafá al- bāz, (1996m).

AL-ʿuliymy, Yāsīn ibn zīn al-Dīn ibn Abī bakr ibn muḥmmad, ḥāshiyh yasin AL-ʿuliymy ʿalā Alfiyat Ibn mālik, al- maṭbaʿah al- mawlawiyyah fās(1327h)

unzūr Ibn al- ʾathīr,naṣr Allāh ibn muḥmmad ibn muḥmmad ibn ʿabd al-karīm al-mathal al-ssā ʾir fī ʾadab al- kātib wa al-shā ʿir, taḥqīq muḥmmad muḥy al-Dīn ʿabd al- ḥmīd al-, Maktabat al-ʿaṣriyyah llṭbā ʿah waal-nnashr- baayrūt, (1420h).

unzūr ,d. al-sayid ʾiz al-Dīn ʿALI, al- takrīr bayna al-muthīr, ṭab ʿah (1), dār al-ṭbā ʿah al-muḥmmadīyah, alqahirah,(1398h-1978m).

Al-zamakhsharī,ʾAsās al-balāghah taḥqīq: muḥmmad bāsil ʻuyūn al-sūd(1419h-1998m),dār al kutub al-ʻilmiyyah, baayrūt, lubnān ṭab ʿah (1),(mādt:ṭnaba).

unzū: Ibn hishām, Abū muḥmmad jamāl al-Dīn,(1985) mughnī al-labīb ʿan kutub al-ʾa ʿārīb taḥqīq d. māzin al-mubārak, muḥmmad ʿALI ḥmd Allāh dār al-fikr – dimashq , ṭab ʿah (6).

wa ʾunzū:jalā al-Dīn al-suyūṭī, ʿabd al- rraḥmān Ibn Abī bakr ,mu ʿtarak al-ʾaqrān fī ʾiajāz al-qur ʾān,(1408h-1988m) dār al kutub al-ʻilmiyyah, baayrūt, lubnān ṭab ʿah (1).

AL-siljimāsī, Abū muḥmmad al-qāsim al-ʾanṣārī, (1980m-1401h) ,al- manzȧ al-badīʿ fī tajnīs ʾasālīb al-badīʿ taḥqīq ʿalāl al- ghāzī, Maktabat al- ma ʿā rif al- ribāṭ al-maghrib ṭab ʿah (1).

unzū: al-bayḍāwī, abd Allāh Ibn ʿumar h Ibn ʿ muḥmmad al- shīrāzī ,ʾanwār al- tanzīl wa ʾasrā al- t ʾwīl taḥqīq muḥmmad abd al- rraḥmān al-mar ʿashlī dār ʾiḥyā ʾ al- turāth al- ʿarabī baayrūt ṭab ʿah (1).(1418h).